ملين : هكذا تعامل المغاربة وسلاطينهم وفقهاؤهم ومتصوفتهم مع الأوبئة

تيلكيل عربي - العدد 44 - من 27 مارس إلى 2 أبريل 2020

تيلكيل عربي

مدير النشر : المختار عماري

ar.telquel.ma/

هل المنظومة الصحية قادرة على مواجهة "كورونا"؟

- شهادات لعناصر من "الجيش الأبيض" في صفوف المواجهة الأمامية
- البقاء في البيوت هو الحل والنداء • دليلك النفسي في "الحجر الصحي"

الفيروس التاجي وتاج الصحة

كم لاكت الألسنُ حكمة "الصحة تاج على رؤوس الأصحاَء لا يراه إلا المرضى"، حتى كادت أن تفقد معناها، ولما أزفت هذه الظروف، استدعتها، في الأحاديث مع الناس ومع النفس، في زمن كورونا المطبوع بتمترس البشر ببيوتهم للاحتماء من هذا العدو غير المرئي، الذي يسمعون أنه من أسرة "تاجية"، تريد أن تُسقط أكاليل الصحة من فوق رؤوسهم!

غريزة البقاء أقوى من أي حافز، ولو كان تاجا، لكن التاج، هنا، هو البقاء ذاته، الذي لا يُقابله، للأسف، إلا الفناء!

ومن أجل البقاء، وحبذا لو استمر ذلك في حال العافية والرؤوس تزينها تيجان الصحة، لابد، ولا مندوحة عن الانضباط لتوجيهات السلطات العمومية في البقاء في البيوت، لأنه لا حلَّ أسلم غير هذا في زمن السديم هذا.

ستطالعون في مقالات ملف هذا العدد نداءاتٍ لأطباء وممرضين ومختصين يدعونكم إلى حماية أنفسكم وحماية ذويكم، وخصوصا من كبار السن ومن الذين يعانون من الأمراض المزمنة، وحماية الأطقم الصحية، بالبقاء في بيوتكم، مع الأخذ بالنصائح التي صار يعرفها الصغير قبل الكبير...

غريزة البقاء أقوى من أي حافز، ولو كان تاجا، لكن التاج، هنا، هو البقاء ذاته، الذي لا يقابله، للأسف، إلا الفناء!

ولأن الغاية ليست هي دق الأجراس، وإنما تنوير الرأي العام عن واقع المنظومة الصحية المغربية في مواجهتها للفيروس الفتّاك، بما له وما عليه، والواقع لا يُعلى عليه، فإنكم تجدون كثيرا من التفاصيل والمعلومات في الملف بمقالاته المتكاملة، إلى جانب مواد العدد الأخرى... ■

"كورونا".. هذه "محاذير" استفادة الأجراء المتضررين من تعويض 2000 درهم

قدمت لجنة اليقظة الاقتصادية، التي أحدثت في سياق تفعيل صندوق خاص لتدبير ومواجهة وباء فيروس كورونا، والتي ينسق أعمالها وزير الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة محمد بن شعبون الطريقة التي سيستفيد بها الأجراء الذين تضررت مقاولاتهم من الأزمة الحالية من تعويض شهري جزافي قدره 2000 درهم، مؤكدة على الافتحاص ومعاقبة المخالفين.

تيلكيل عربي

قررت لجنة اليقظة الاقتصادية، "بعد مشاورات واجتماعات متواصلة"، منح تعويض شهري جزافي قدره 2000 درهم، بالإضافة إلى الاستفادة من خدمات التغطية الصحية الإجبارية والتعويضات العائلية، لفائدة الأجراء والمستخدمين بموجب عقود الاندماج والبحارة الصيادين المتوقفين مؤقتا عن العمل المصرح بهم لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي برسم شهر فبراير 2020، والمنتمين للمقاولات المنخرطة في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي التي تواجه صعوبات. ويهم هذا التعويض، حسب بلاغ لوزارة

وزير الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة محمد بن شعبون.

الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة صادر يوم الخميس 26 مارس 2020، الفترة الممتدة من 15 مارس إلى 30 يونيو 2020.

وفي هذا الإطار، يجب، حسب الوزارة، "التأكيد" على ما يلي:

- يجب أن يكون الأجراء الذين سيستفيدون من هذه التعويضات موضوع تصريح بالشرف من طرف المقاولات التي تشغلهم، وذلك عبر البوابة الإلكترونية للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي الخاصة بالتعويضات الجزافية الشهرية. ويفيد هذا التصريح بأن المقاولة توجد في حالة توقف كلي أو جزئي لأنشطتها بسبب تفشي جائحة فيروس كورونا. وبالتالي فكل أجير غادر عمله عن قصد لن يستفيد من هذا التعويض.
- سيتم افتحاص جميع العمليات التي يقوم بها الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي من طرف المفتشية العامة للمالية. وستتم معاقبة أية مخالفة.

يذكر أنه بأمر من الملك محمد السادس، تم إحداث صندوق خاص لتدبير ومواجهة وباء فيروس كورونا، وذلك من أجل التكفل بالنفقات المتعلقة بتأهيل البنيات الصحية، والحد من آثار الجائحة على الاقتصاد الوطني. وكانت لجنة اليقظة الاقتصادية قد أعطت الأولوية، في اجتماع عملها الثاني يوم الخميس 19 مارس 2020 بمقر وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة، من جهة، لاتخاذ الإجراءات على المستوى الاجتماعي لفائدة الأجراء الذين توقفوا عن العمل، ومن جهة أخرى، لاتخاذ تدابير لفائدة المقاولات الأكثر تضررا من الأزمة، وأخيرا لتحديد حزمة تدابير على المستوى الجبائي.

وقرر أعضاء اللجنة اتخاذ سلسلة من الإجراءات لفائدة المستخدمين والمقاولات. وستظل هذه الإجراءات سارية المفعول حتى نهاية يونيو 2020.

وذكر بلاغ لوزارة محمد بنشعبون أن جميع المأجورين المصرح بهم لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي في فبراير 2020، المتوقفين عن العمل من طرف مقاولة في وضعية صعبة، سيستفيدون من تعويض شهري ثابت وصافي قدره 2000 درهم، بالإضافة إلى التعويضات العائلية وتلك المتعلقة بالتأمين الإجباري عن المرض (AMO).

كما سيتمكن هؤلاء الأجراء أيضا من الاستفادة من تأجيل سداد القروض البنكية (قروض الاستهلاك وقروض السكن) إلى غاية 30 يونيو 2020. ■

"كورونا"..

جرعة "أوكسجين" لتمويل المقاولات المتدهورة الخزينة

في سياق تفعيل صندوق خاص لتدبير ومواجهة وباء فيروس كورونا، أحدثت لجنة اليقظة الاقتصادية آلية جديدة للضمان على مستوى صندوق الضمان المركزي، تحت اسم "ضمان أوكسجين"، لتمكين المقاولات التي عرفت خزينتها تدهورا بسبب انخفاض نشاطها، الحصول على موارد استثنائية للتمويل.

من اجتماع سابق للجنة اليقظة الاقتصادية.

تيلكيل عربي

أحدثت وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة، يوم الخميس 26 مارس 2020، آلية جديدة للضمان على مستوى صندوق الضمان المركزي، تحت اسم "ضمان أوكسجين"، ضمن المجهودات المبذولة لتنزيل التدابير المتخذة من طرف لجنة اليقظة الاقتصادية والتي تهدف إلى تخفيف أثار الأزمة الناتجة عن جائحة كورونا ودواعيها على المقاولات.

ويهدف هذا المنتوج الجديد، حسب بلاغ وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة، إلى تمكين المقاولات التي عرفت خزينتها تدهورا بسبب انخفاض نشاطها، الحصول على موارد استثنائية للتمويل. ويغطي "ضمان أكسجين" 95 في المائة من مبلغ القرض، مما يمكن الأبناك من مد المقاولات بقروض استثنائية لتمويل احتياجات أموال الدوران، في ظرف وجيز.

وتغطي هذه التمويلات البنكية التي تنضاف إلى القروض الأخرى المتاحة، إلى حدود ثلاث أشهر من المصاريف الجارية والمتعلقة على وجه الخصوص بالأجور، وواجب الكراء وتسديد أثمنة المشتريات الضرورية إلخ... ويمكن لهده التمويلات البنكية أن تصل إلى 20 مليون درهم.

وبالنسبة إلى المقاولات التي لا تتوفر على خطوط تمويل على المدى القصير، فان القرض الاستثنائي يمكن أن يصل إلى 5 ملايين درهم. وستستفيد من هذه الآلية الجديدة للضمان، المقاولات الصغرى والمتوسطة والصغرى جدا التي لايتعدى رقم معاملاتها 200 مليون درهم.

ومن جهة أخرى، ونظرا للطابع الاستثنائي لهده الأزمة، فان المقاولات التي يتراوح رقم معاملاتها ما بين 200 و500 مليون درهم، يمكنها الاستفادة من هذا التسهيل.

وحتى تتمكن الأبناك من الإسراع في معالجة طلبات المقاولات للحصول على التمويل، قام صندوق الضمان المركزي بإعطاء تفويض لمؤسسات القروض قصد استعمال ضمانه لجميع القروض التي يقل مبلغها 2 مليون درهم.

وبفضل هذه الآلية التي تتضمن التزام قوي من طرف الدولة لفائدة المقاولات، أصبحت الأبناك تتوفر ابتداء من الآن على دعم سيادي لتمكينهم من مواصلة وتقوية مواكبتهم للمقاولات الصغيرة والمتوسطة. ■

من داخل المستشفى العسكري بالرباط.

هل المنظومة الصحية قادرة على مواجهة "كورونا"؟

فيروس "كورونا" المستجد يواصل التفشي في المغرب، أمام إجراءات الطوارئ الصحية التي فرضتها الدولة منذ الأسبوع الماضي. هذا الزحف للفيروس في أكثر من مدينة، يطرح عدة أسئلة لدى المغاربة حول قدرة المنظومة الصحية المغربية على تحمل هذا العبء، خاصة أن المشاهد القادمة من كبريات الدول التي تتوفر على سياسات صحية متطورة، لا تبعث على التفاؤل، وتجعل المخاوف تتضخم مع مرور الوقت، وكلما أعلن عن حصيلة جديدة للمصابين بـ"كوفيد19"."تيلكيل عربي" تحدث لمن هم في الصفوف الأمامية لمواجهة فيروس "كورونا" المستجد بالمغرب، وطرح عليهم مجموعة من الأسئلة المتعلقة بما يملكه المغرب من "أسلحة" صحية لمواجهة هذا الداء، سواء تعلق الأمر بالبنى التحتية وتجهيزها، أو بما هو مرتبط بالتحليلات للكشف عن الفيروس، وبقلّتها، مقارنة بدول أخرى، وأيضا بمصير المغاربة الذين يعانون من أمراض مزمنة أو الحاجة لتدخلات طبية عاجلة في هذا الظرف الاستثنائي...

أحمد مدياني

تم الكشف عن تسجيل أول حالة إصابة بفيروس "كورونا" المستجد بالمغرب، يوم الاثنين 2 مارس 2020، مباشرة بعد نهاية أول ندوة صحافية لرئيس الحكومة سعد الدين العثماني، رفقة وزير الصحة خالد أيت طالب، طرحت فيها مجموعة من الأسئلة عن قدرة المنظومة الصحية للمملكة على مواجهة هذه الجائحة، وكيف يمكن مواجهتها في ظل اعتراف المسؤولين، قبل المواطنين، بضعفها، من حيث الموارد البشرية والبنيات التحتية المتوفرة في القطاع الصحي العمومي. هذا الوضع دفع "تيلكيل عربي" للبحث عن أجوبة لدى المسؤولين في القطاع ومن يقدمون الاستشارة داخله، خاصة الجوانب المرتبطة بما تغير منذ طرق "كورونا" المستجد باب المغرب ودخوله وتصاعد أعداد حالات الإصابات المؤكدة.

اطلبوا المعدات ولو من الصين!

المستشار الإعلامي لوزير الصحة، حفيظ أزهاري، قال في تصريح لـ"تيلكيل عربي"، بنبرة مطمئنة، إن "جميع المستشفيات والمراكز الصحية مجهزة ومستعدة لاستقبال الحالات المصابة بفيروس كورونا المستجد، من أجل العناية بها وعلاجها".

وبعد سؤاله عن النقص في عدد أسرة الإنعاش والخصاص، الذي تحدث عنه مجموعة من الأطر الصحية في ما يتعلق بالمستلزمات الطبية الخاصة بالوقاية أو التدخل، خاصة تجهيزات التنفس الاصطناعي، أوضح مستشار وزير الصحة أنه "تمت تعبئة جميع الوسائل وتم تدارك النقص، الذي سجل في البداية، خاصة بعد توصل المغرب بشحنات من هذه المستلزمات يوم الاثنين 23 مارس 2020 من الصين".

المغرب، حسب ما صرح به رئيس الحكومة، يتوفر على 1640 سرير إنعاش فقط. فيروس "كورونا" المستجد يتطلب أكثر من هذا العدد المخصص لإنقاذ أرواح من يتسبب لهم في مضاعفات صحية خطيرة.

جواب المستشار حفيظ أزهاري، حول توصل المغرب بمعدات طبية من الصين، دفع "تيلكيل عربي" للسؤال عن نوعيتها، حيث كشف في تصريحه أنها "معدات لتجهيز غرف الإنعاش، تم توزيعها على مجموعة من المتشفيات الجامعية والجهوية والإقليمية والمراكز الاستشفائية، بالإضافة إلى معدات التنفس الاصطناعي".

الطائرة التي وصلت من الصين محملة بالمعدات الطبية.

مستشار وزير الصحة أضاف أن الطائرة التي وصلت إلى المغرب يوم الاثنين الماضي، لن تكون الأخيرة، بل هناك إمدادات طبية إضافية سوف تصل إلى المغرب.

وعن حاجيات المغرب من الموارد البشرية في قطاع الحصة، قال مستشار الوزير في القطاع إن "الوزارة قررت إلغاء جميع الإجازات السنوية، وتفهم كل الأطر هذا القرار، فضلا عن التحاق الأطر الطبية العسكرية بمتشفيات الوزارة، منذ يوم الثلاثاء 24 مارس، بناء على قرار الملك محمد السادس".

في السياق ذاته، قالت شفيقة غزوي، مديرة وحدة التواصل بالمديرية الجهوية للصحة بجهة فاس مكناس، إحدى الجهات التي تعرف تسجيل أعداد كبيرة من حالات الإصابة بفيروس "كورونا" المستجد، بالإضافة إلى عدد الحالات التي تتم مراقبتها وتتبعها، إن "المعدات والإمكانيات الصحية وفرت بكل إقليم. كل المستشفيات والمراكز الصحية تتوفر اليوم على جناح أو قسم مستعد لاستقبال الحالات إذا ارتفعت. معدات الإنعاش متوفرة، وتم الرفع من عددها".

وصرحت المتحدثة ذاتها، لـ"تيلكيل عربي"، أن "دعم القوات المسلحة الملكية مهم جداً وسوف يخفف من العبء على الأطر الصحية المدنية". وأضافت "الأطر الصحية العسكرية تشتغل اليوم داخل المركز الصحي بن البيطار التابع للمستشفى الجهوي، وتتوفر على جميع الإمكانيات، فضلا عن الاستعانة بالمساعدات الاجتماعيات من الدرك الملكي، واللواتي يشتغلن في خلايا اليقظة، كما يساهمن في الخطوط

»

إنجاز تحاليل بمعهد باستور بالدارالبيضاء.

« الأمامية لفرز الحالات المشتبه في إصابتها بالفيروس".

هذه الطمأنة على لسان المسؤولين الصحة، تقابلها تساؤلات عدد من المواطنين بخصوص حجم الرعاية الصحية الضرورية وجودتها في هذا الظرف الاستثنائي، كما يواجهها تساؤل حول إصابة عدد من الأطر الصحية في المغرب بفيروس "كورونا" المستجد رغم كل ما أعلن من اتخاذ للإجراءات الوقاية.

إجراءات للوقاية الصحية

لماذا أصيب عدد من الأطر الصحية بفيروس "كورونا" المستجد؟ الواقع أن الأمر ذاته سجل في العديد من الدول الأوروبية التي تواجه تفشي واسع النطاق لـ"كوفيد 19" فوق ترابها، لكن هذا لا يمنع من البحث عن السبب.

هذا السؤال طرحه "تيلكيل عربي" على البروفيسور عبد الفتاح شكيب، أستاذ علم الأوبئة والفيروسات، بكلية الطب بالدار البيضاء، وكان جوابه أن "الاحتياطات موجودة، لكن لا يمكن التنبؤ بالحالات غير معروفة، والتي يفرض بعضها تواصل الأطر الطبية عن قرب مع المريض".

البروفيسور شكيب قدم مثلا بطبيبة الأطفال التي تعرضت للعدوى، وأوضح أنها أصيبت بسبب "تدخل مستعجل لعلاج طفل، كانت أمه حاملة لفيروس كورونا. تدخل الطبيبة كان ضروريا، وأمه لم تكن تظهر عليها أي أعراض، لكن الفيروس كان في كل قطعة من ثيابه وجسده بسبب احتكاكه، وهذا الأمر نقل لها العدوى".

وشدد المتحدث ذاته على أن وقوع مثل هذه الحالات، هو ما يدفع إلى دعوة المغاربة إلى المكوث في المنازل، واتخاذ جميع اجراءات الوقاية إن كان التوجه عند الأطباء ضروريا، ومن الأفضل أن يطلبوا الطبيب إلى المنزل وهذا الأمر أصبح متاحا اليوم، يضيف البروفيسور شكيب. الأمر نفسه يؤكده سعيد عفيف، رئيس التجمع النقابي للأطباء الأخصائيين بالقطاع الخاص في المغرب، في تصريح لـ"تيلكيل عربي"، بقوله "في العيادات قررنا استقبال الحالات المستعجلة فقط، و90 في المائة من الأطباء اليوم يفتحون عياداتهم لاستقبال المرضى خلال الفترة الصباحية فقط، وبعد منتصف اليوم نكتفي بالاستشارات الطبية عن بعد".

البروفيسور عبد الفتاح شكيب يشدد على ضرورة اشتغال الأطباء في العيادات بأقصى وسائل الوقاية الصحية، خصوصا استعمال الكمامات الطبية طيلة فترة عملهم، كما ينصح من يستطيع منهم ذلك، استقبال الحالات المستعجلة فقط، لأن هذه المرحلة لا تقبل المخاطرة بمهنيي قطاع الصحة، سواء كانوا في القطاع الخاص أو العام.

في هذا الصدد، صرح سعيد عفيف، رئيس التجمع النقابي للأطباء الأخصائيين بالقطاع الخاص في المغرب، أنه تم بعث توجيهات صارمة لكل الأطباء الخواص بضرورة اللجوء للاستشارات الطبية من خلال الفيديو أو الصور عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي، وأضاف: "بالنسبة إلينا في العيادات، يجب أن يحرص الأطباء على الوقاية واستعمال وسائلها، خاصة تعقيم كل الأماكن التي يمر بها المرضى، مع الحرص على بقاء الناس في الانتظار خارج العيادة حتى يصل دورهم".

ودعا المتحدث ذاته إلى "ضرورة التفكير في صيغة لمنح الأطباء الأخصائيين التغطية الصحية. فإذا أصيب أحدنا لا نملك أي إمكانية للتعويض وهذا نداء للحكومة من أجل التفكير في هذا الأمر".

لماذا تبقى التحليلات قليلة؟

من بين الأسئلة التي يطرحها المغاربة، اليوم، مدى نجاعة المنظومة الصحية في رصد انتشار فيروس "كورونا" المستجد، عبر التحليلات.

فإلى حدود الساعة السادسة من مساء يوم الخميس 26 مارس الجاري، تم إجراء 1206 تحليلا للمشتبه في إصابتهم بالفيروس، 275 حالة جاءت تحليلاتها إيجابية، توفي منها 10 وتم شفاء 8 حالات، حسب آخر تصريح لوزارة الصحة.

البروفيسور عبد الفتاح شكيب أوضح، عند سؤاله عن عدد التحليلات في المغرب، أنه "في العالم كله عدد التحليلات المفروضة أقل من عدد التحليلات التي أنجزت، باستثناء كوريا الجنوبية التي وفرت إمكانيات استثنائية وغير مسبوقة للكشف عن كل مواطنيها دون »

الاشتباه بإصابتهم". وأقر أستاذ علم الأوبئة والفيروسات بكلية الطب بالدار البيضاء أنه في ظل "غياب الإمكانيات الحل هو الحجر الصحي"، قبل أن يستدرك بالقول: "الأمر لا يتعلق، صراحة، بغياب الإمكانيات. اليوم، أي بلد يجد صعوبة في اقتناء معدات التحاليل، بل إن الشركات التي تصنعها وتصدرها تبيع أعداداً خيالية في الدقيقة، اليوم وليس الساعة أو اليوم".

وتابع المتحدث ذاته: "التحليلات تتطلب من أربع إلى خمس ساعات، والبيولوجي المكلف لا يمكن له أن يعيش 24 ساعة للقيام بهذه المهمة. يمكن أن يقوم بـ30 تحليلا في اليوم على أقصى تقدير، وإذا قام بأكثر من هذا العد سوف يرتفع هامش الخطأ كثيرا".

وشدد البروفيسور عبد الفتاح شكيب على أن المغرب في "حاجة إلى وسائل التحليلات السريعة، ويمكن توجيهها إلى المختبرات الأخرى، بل والاستعانة بالمختبرات الخاصة، عوض الاكتفاء بمختبري الدار البيضاء والرباط".

هل استدرك المغرب هذا النقص في معدات ووسائل تحليل الإصابات بفيروس "كورونا" المستجد؟ الجواب هنا على لسان مستشار وزير الصحة حفيظ أزهاري، والذي أكد على أن شحنات المعدات والمستلزمات الطبية التي جاءت من الصين، فضلا عن شحنات أخرى في الطريق، تتضمن معدات القيام بالتحاليل.

المخالطون تحت المراقبة

في علاقة بالتحاليل، ومع بداية تسجيل حالات الإصابات المؤكدة بفيروس "كورونا" بالمغرب، وخلال الأسابيع الأولى، كان الحديث يقتصر على الحالات الوافدة فقط، ولأن حضانة الفيروس في جسد المصاب تكون ما بين يومين و14 يوما، بدأت خلال الأسبوع الجاري تظهر حالات مؤكدة لمن خالطوا المصابين الوافدين.

في هذا الصدد، تقول الدكتورة شفيقة غزوي مديرة وحدة التواصل بالمديرية الجهوية للصحة بجهة فاس مكناس، لـ"تيلكيل عربي"، إنه تم تسجيل حالات إصابة 15 مغربياً في منطقة اختصاصها الترابي، توفي من بينهم

بدأت، خلال الأسبوع الجاري، تظهر حالات مؤكدة لمخالطي المصابين الوافدين بعد نهاية فترة حضانة الفيروس.

شخص في الـ65 من عمره، حسب آخر الأرقام المعلنة إلى غاية الساعة السادسة من مساء يوم الخميس 26 مارس الجاري، وكل الحالات وافدة من مصر وكانت ضمن رحلة سياحية منظمة. وأوضحت المتحدثة أنه، إلى حدود الحديث إليها، سجلت جهة فاس مكناس 51 حالة إصابة مؤكدة، من بينها 12 حالة في فاس 12 حالة، وبالنسبة لمكناس 39 حالة، بالإضافة إلى حالة وافدة مسجلة في مدينة تازة وحالة أخرى وافدة مسجلة بمدينة إيفران.

وحسب المسؤولة تبلغ نسبة الحالات الوافدة إلى حدود لحظة أخذ التصريح 85 في المائة من مجموع المصابين، أما الحالات المخالطة فنسبتها 15 في المائة، والمستبعدة في الجهة عددها 265 حالة.

اهتمام المغاربة بالحالات المسجلة في جهة فاس – مكناس، كما ذكر "تيلكيل عربي" في السابق، مرده إلى ما أصبح يوصف بـ"رحلة مصر المشؤومة"، والتي تسببت في ارتفاع الحالات المصابة إلى الأرقام المعلنة اليوم.

وقالت شفيقة غزوي إن "كل ركاب الطائرة التي وصلت من مصر وضعوا تحت المراقبة الطبية، وأجريت لهم التحاليل يوم 23 مارس الجاري، وأظهرت أن عددا منهم حاملون للفيروس، وكل الركاب من مدينة مكناس".

وشددت مديرة وحدة التواصل بالمديرية الجهوية للصحة بجهة فاس مكناس على أن "أعراض فيروس "كورونا" المستجد في العالم كله، يصعب رصدها في البداية عند الأناس الذين يتمتعون بصحة جيدة ومناعة قوية، لذلك نطلب من المغاربة ملازمة بيوتهم والحد نهائية من الاختلاط مع الآخرين، وإن كانوا مضطرين لذلك، فعليهم الالتزام بكل توجيهات الوقاية الصحية، وأن يحرصوا، مهما كانت الظروف، على عدم لمس الوجه حين خروجهم إلى الشارع أو تواجدهم داخل فضاءات العمل قبل غسل أو تعقيم اليدين".

تسارع انتشار الفيروس بالمغرب في الأيام الأخيرة.

مسؤولو الصحة العمومية يؤكدون على قدرة المنظومة الصحية على مواجهة انتشار الفيروس.

الأمراض المزمنة وسط الجائحة

احتياطات يبقى المصابون بالأمراض المزمنة الأكثر حاجة إليها. ومنذ الإعلان عن بداية تسارع تفشي وباء "كورونا" المستجد في المغرب، وضع عدد من المغاربة الذين يعانون من تلك الأمراض أيديهم على قلوبهم، ومرد تخوفهم يعود، بالأساس، إلى ما يتابعونه يومياً من عدم قدرة المنظومات الصحية الغربية في التكفل بمواطنيها بعد ما ارتفعت حالات الإصابة عندها إلى كبير.

وحسب شفيقة غزوي، مديرة وحدة التواصل بالمديرية الجهوية للصحة بجهة فاس مكناس، فلاستقبال الحالات المشتبه بإصابتها بفيروس "كورونا" المستجد أو الحالات المؤكدة من أجل العلاج، هناك أجنحة أو أقسام مخصصة لها، وأطر صحية هذه مهمتها، فقط، أما باقي الحالات فيتم التكفل بها بشكل عاد وفق المواعيد المحددة سلفا.

لكن، ودائماً حسب المتحدثة ذاتها، هناك "حالات يجب أن تتفهم الوضع الاستثنائي الذي يمر منها العالم كله، وليس المغرب فقط؛ أي أن الحالات المرضية غير الاستعجالية أو التي تحتاج تدخلات صحية بسيطة، لا داعي أن تتوجه إلى المستشفى لأنها سوف تعرض نفسها لمخاطر الإصابة وانتقال العدوى".

الأمر ذاته يشدد عليه البروفيسور عبد الفتاح شكيب، والذي يرى أن "عدداً من المغاربة لا يتصلون بالأرقام الموضوعة رهن إشارتهم بخصوص فيروس كورونا، وعدد كبير يتصلون من أجل الاستشارة الطبية فقط، ويملؤون الخطوط أحياناً في وجه حالات يمكن أن تكون مصابة فعلاً بالفيروس، كما أن عدداً كبيرا منهم يقصدون المستشفيات مباشرة، وهذا يمثل خطرا عليهم، بل يفعلون ذلك بدون وسائل الحماية والوقاية، وهذا خطر عليهم، خاصة منهم الذين يعانون من أمراض مزمنة".

ماذا عن دور القطاع الخاص؟ يقول سعيد عفيف، رئيس التجمع النقابي للأطباء الأخصائيين بالقطاع الخاص في المغرب، إن "أطباء القطاع الخاص أصبحوا يقومون يومياً بإجراء استشارات طبية مجانية، خاصة عن بعد، والعدد المحدد لكل طبيب هو ما بين 10 إلى 15 حالة بعد منتصف اليوم؛ أي بعد إغلاق عيادته الخاصة".

رئيس التجمع النقابي للأطباء الأخصائيين بالقطاع الخاص في المغرب يعتبر، في حديثه لـ"تيلكيل عربي"، أن "القطاع الصحي الخاص اليوم مفروض عليه لعب دور المستقطب للمرضى". وشرح ذلك بالقول: "النظام الصحي الخاص يساعد، عكس ما يتم الترويج له، وهو يستقطب المرضى الذين يعانون من الأمراض المزمنة بصفة كبيرة، ويمنع وصولهم إلى المستشفيات العمومية المنشغلة اليوم بمواجهة تفشي فيروس كورونا المستجد".

وشدد المتحدث ذاته على أن "النظام الصحي المغربي يجب أن يصمد بتضافر جهود الجميع، وهو يستجيب إلى حدود الآن، لجميع الحاجيات الصحية الضرورية. اليوم الكل يتسابق مع الفيروس لهزمه، وعندما ستمر هذه الجائحة يمكن أن نقوم بتقييم مجموعة من الأمور. كلنا قمنا بمراجعات خلال هذه الأزمة، وكلنا نساهم بنكران للذات لتجاوزها"..... ■

شهادات لعناصر من "الجيش الأبيض" في صفوف المواجهة الأمامية

يعيش العالم ظروفا صعبة بسبب فيروس كورونا المستجد الذي فرض "أجندته" الخاصة على جميع دول العالم. وإذا كانت كل مجالات العمل في المغرب قد تأثرت بضغط الفيروس، وأصبحت كل الإدارات تحاول جاهدة التقليل من حضور الموظفين لمقراتها والاكتفاء بالعمل عن بعد، فإن الوضع مختلف في مستشفيات المملكة، التي استنفرت أطرها لمواجهة عدو غير مرئي يهدد الجنس البشر.

الشرقي لحرش

كيف يقضي جنود "الجيش الأبيض" يومهم داخل المستشفيات، وما تأثير ذلك على أسرهم؟ "تيلكيل عربي" يحاول تقريب قرائه من يوميات الأطباء والممرضين في ظل "فيروس كورونا المستجد"من خلال شهاداتهم. أجمعت الشهادات التي استقاها "تيلكيل عربي" أن العاملين في قطاع الصحة يعيشون ضغطا نفسيا رهيبا، فهم بدورهم يخشون تعرضهم للإصابة بفيروس كورونا المستجد، كما يتخوفون من نقله إلى أفراد عائلاتهم.

ضغط نفسي رهيب

تقول ربيعة بوكطاية، طبيبة بقسم المستعجلات بمستشفى محمد الخامس بطنجة "إن الأطقم الصحية يعيشون ضغطا نفسيا رهيبا، لكنهم مجندون لأداء رسالتهم مهما كلف الثمن". وأضافت في شهادتها لـ"تيلكيل عربي"، "لقد أصبح العاملون في قطاع الصحة يخشون من انتقال الفيروس إليهم، كما يخشون نقله للمرضى، إذا كانوا هم مصابين ولم تظهر عليهم الأعراض بعد، لذلك يتم اتخاذ أقصى الاحتياطات لحماية الأطباء والمرضى"، مشيرة إلى أن ما يزيد الأمر صعوبة هو توجه عدد من المواطنين للتأكد من عدم إصابتهم بفيروس كورونا من عدمها بدل الاتصال برقم "ألو يقظة". وتؤكد أن الدكتورة بوكطاية أن "فيروس كورونا" فرض عليها تغيير عدد من العادات داخل منزلها خشية نقل العدوى لأفراد أسرتها، حيث أصبحت لا تلمس أبناءها إلا بعد غسل اليدين، ومع ذلك يظل التخوف قائما، مشيرة إلى أن هناك توجه داخل طنجة لتوفير فضاء للأطر الصحية بعيدا عن أسرهم. الضغط النفسي الذي يعيشه العاملون في قطاع الصحة، الذي تحدثت عنه الطبيبة بوكطاية، أكدته إلهام المالكي، الممرضة المختصة في التخدير والانعاش بمستشفى سيدي سعيد بمكناس.

الأطر الطبية وشبه الطبية تعيش تحت ضغط كبير في مواجهة انتشار الفيروس.

المرضة قالت، في حديث مع "تيلكيل عربي"، إن العاملين في قطاع الصحة أصبحوا يبدلون مجهودا مضاعفا، رغم الخوف الذي يعتريهم من خطر انتقال الفيروس.

وأضافت "أصبحت أغسل يدي كل مرة، وكأنني أصبت بوسواس النظافة، كما لم أعد أقترب من أفراد أسرتي مخافة أن أكون مصابة وأنقل إليهم الفيروس"، مشيرة إلى أن فيروس كورونا غيّر كل العادات الاجتماعية.

وتؤكد المالكي أنه نتيجة الخوف الذي يسيطر على الأطر الصحية، فقد تم فصلهم عن أسرهم، حيث سيبيتون، هم أيضا، في أحد الفنادق لتجنب الاتصال مع أبنائهم.

من جهته، يقول رضى شروف، أخصائي الفيزياء الاحيائية بالمعهد الوطني للصحة بالرباط، الذي يتم فيه إجراء تحاليل فيروس كورونا، إلى جانب معهد باستور بالدارالبيضاء: "من الطبيعي أن يكون هناك ضغط نفسي على العاملين في قطاع الصحة في ظل الظروف التي نعيشها، خاصة أن إمكانية تعرضنا للإصابة واردة".

شروف أوضح، لـ"تيلكيل عربي"، أن "الأشخاص الذين يستقبلون عينات الحالات المشكوك فيها يمكن أن يتعرضوا للإصابة إذا لم يتم اتخاذ الاحتياطات اللازمة".

أما نور الدين العظم، الممرض بالمركز الاستشفائي بأكادير، فيؤكد أن الضغط النفسي الذي يواجهه العاملون في قطاع الصحة لا ينقص من عزيمتهم، وتفانيهم في أداء واجبهم ورسالتهم. وأشار العظم أن العاملين في المستشفى شرعوا في المبيت بعيدا عن أسرهم، مشيرا إلى أن جمعية الأعمال الاجتماعية لوزارة الصحة وضعت فضاء رهن اشارتهم، بعد تزايد المخاوف من نقل الفيروس لأسرهم.

"الزموا بيوتكم وادعوا لنا"

الدكتور ساري إخلاص، الاختصاصي في أمراض التخدير والانعاش بالمستشفى الاقليمي مولاي عبد الله بسلا، اختار اللجوء إلى مواقع التواصل الاجتماعي من أجل توجيه رسالة الأطباء والممرضين لعامة المواطنين من أجل حماية أنفسهم من "فيروس كورونا" المستجد ومساعدة الطاقم الصحي الذي يخوض معركة دون هوادة هذه الأيام.

"إننا في حرب وجهاد ضد عدو غير مرئي، وإذا أردتم مساعدتنا فالزموا بيوتكم، وادعوا لنا".

طبيب الانعاش قال، لـ"تيلكيل عربي": "إننا في حرب وجهاد ضد عدو غير مرئي، وإذا أردتم مساعدتنا فالزموا بيوتكم، وادعوا لنا".

وأضاف "نحن اليوم في لحظة الحسم، إما نوقف الوباء، أو أنه سيتفشى ولن نقدر على ايقافه"، مشددا على أن الحل بيد المواطنين.

من جهتها، وجهت صابرين برارة، الممرضة بمستشفى محمد الخامس بمكناس، نداء إلى المواطنين، عبر "تيلكيل عربي"، من أجل لزوم بيوتهم، معتبرة تحلي المواطنين بهذا السلوك هو أكبر هدية يمكنهم توجيهها للأطقم الصحية. ودعت برارة المواطنين إلى عدم التوجه للمستشفيات، إذا ما ساورتهم شكوك بشأن إصابتهم بفيروس كورونا، والاكتفاء بالاتصال بالأرقام التي وضعتها وزارة الصحة رهن إشارتهم، معتبرة أن توجه الحالات المشكوك فيها إلى المستشفيات، دون اتخاذ الإجراءات الاحترازية اللازمة، يشكل خطورة على العاملين في قطاع الصحة.

وتعتبر ربيعة بوكطاية، الطبيبة المستعجلات بمستشفى محمد الخامس بطنجة، أن "أي تهاون من قبل المواطنين مع الفيروس وعدم التزامهم بالحجر الصحي قد يتسبب في ارتفاع عدد الإصابات ويضرب بالمجهودات الكبيرة التي قامت بها الدولة لمحاصرة الفيروس عرض الحائط". بوكطاية وجهت نداء للشباب، خاصة، من أجل المكوث في بيوتهم، خلال هذه الفترة، مشيرة إلى أن هذه الفئة قد تنقل الفيروس للأشخاص المسنين، الذين يكونون عرضة للوفاة في كثير من الأحيان.

بدوره، يؤكد نور الدين العظم على ضرورة بقاء المواطنين في بيوتهم تجنبا لانتقال العدوى، مشددا على أن هذا هو السبيل

العاملون في قطاع الصحة يخشون من انتقال الفيروس إليهم كما يخشون نقله للمرضى.

مستشفى مولاي يوسف بالدار البيضاء استقبل أول حالة إصابة بالمغرب.

الوحيد. وأضاف في تصريحه لـ"تيلكيل عربي": "أصبحنا نشتغل بدون توقف خدمة لأبناء وطننا، لكن هذا العمل كله قد يذهب هباء، إذا لم يساعدنا المواطنون بالبقاء في بيوتهم"، مشيرا، في هذا الصدد، إلى أن المستشفيات تحاول ما أمكن تفادي الاكتظاظ داخلها، واتخاذ الإجراءات الاحترازية الضرورية.

ضغط العمل

خلال جمعه لشهادات العاملين في قطاع الصحة، ربط "تيلكيل عربي"، اتصالا بأحد الأطباء بمستشفى مولاي عبد الله بسلا، الذي يستقبل الحالات المصابة بفيروس كورونا. كان الاتصال على الساعة العاشرة صباحا، رحب الطبيب بتقديم شهادته، لكنه اعتذر عن الادلاء بها لوجود حالة في قسم الانعاش تنتظره، وطلب معاودة الاتصال به مساء. على الساعة التاسعة ليلا أعاد "تيلكيل عربي" الاتصال بالطبيب، لكنه وجده لم ينه عمله، واعتذر له بلطف، مؤكدا أنه يواصل عمله رغم الإرهاق والتعب الذي أصابه.

وضع هذا الطبيب لا يختلف عن كثير من زملائه، فمع بدء توافد حالات الإصابة بفيروس كورونا على المستشفيات أصبح الأطباء والممرضون يقضون ساعات طويلة في العمل. الدكتور محمد زكيري، أحد أطر وزارة الصحة بمدينة الدار البيضاء، يؤكد أن مستشفيات المملكة تعيش استنفارا غير مسبوق. وقال "لم يعد هناك وقت محدد لانتهاء العمل. أصبحنا لا ننهي عملنا إلا في حدود الساعة الواحدة أو الثانية صباحا". بدوره، يقول نور الذين العظم "نحن الآن نشتغل أكثر من الأيام العادية، لكن اللحظة التي نعيشها تتطلب ذلك"، مضيفا أن مطالبهم المادية ستظل معلقة إلى حين القضاء على هذا الفيروس.

"نشتغل بدون توقف، لكن هذا العمل كله قد يذهب هباء، إذا لم يساعدنا المواطنون بالبقاء في بيوتهم".

أدوات الحماية

أجمعت الشهادات التي استقاها "تيلكيل عربي" من الأطقم الصحية على أن وزارة الصحة وفرت أدوات الحماية من الفيروس للعاملين في القطاع، لكنهم يؤكدون على ضرورة توفير المزيد منها حماية لهم وللمرضى. وقالت إلهام المالكي، الممرضة بمستشفى سيدي سعيد بمكناس "إن وسائل الحماية متوفرة لحد الساعة". تأكيدات المالكي على توفر معدات الحماية، يزكيها باقي الأطر الصحية الذين تواصل معهم "تيلكيل عربي"، لكن ذلك ليس كافيا لتبديد مخاوفهم، إذ ظلوا يلحون على ضرورة بقاء المواطنين في بيوتهم لتفادي ارتفاع الإصابات واكتظاظ المراكز الصحية، خاصة في أقسام الانعاش... ■

مدير مختبر للفيروسات:

البقاء في البيوت هو الحل والنداء

في هذا الحوار مع البروفيسور مولاي مصطفى الناجي، الاختصاصي في علوم الفيروسات، مدير مختبر علم الفيروسات لجامعة الحسن الثاني بالدارالبيضاء، يوضح لـ"تيلكيل عربي" خصوصية فيروس كورونا المستجد ضمن "فيروسات كورونا"، وطرق الوقاية منه والجدل حول دواء "الكلوروكين" الذي تبناه المغرب، ضمن مجموعة من الدول، ومساهمة مختبره في جهود مكافحة انتشار الفيروس...

موسى متروف

مولاي مصطفى الناجي، مدير مختبر علم الفيروسات لجامعة الحسن الثاني بالدارالبيضاء.

خصوصية فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)؟

الفيروس معروف، ظهر أول مرة في 1960، ومنذ ذلك الوقت وإلى 2002، كانت لديه خصوصية بالنسبة للحيوانات وخصوصية بالنسبة للبشر، ومنذ 2002 لم تبق له تلك الخصوصية، وأصبح ينتقل من الحيوان إلى البشر، وهو ما حصل في2002 و2014 و2019؛ أي أنه لم يعد ينتقل من الحيوان إلى الحيوان، ومن البشر إلى البشر، بمعنى الانتقال داخل كل فصيلة، فصار ينتقل من الحيوان إلى البشر؛ أي الانتقال بين الفصائل (transmission inter-espèces).

فالفيروس الأول من كورونا وهو "السارس" (SARS) ظهر أول مرة لدى الخفافيش، ومنه انتقل إلى البشر، و"ميرس كورونا" انتقل من الخفاش إلى البشر، ولكن كان خزانه هو الجمل، ومنه إلى البشر. ومن بعده جاء "الكوفيد"، والذي يكون عند الخفافيش أيضا ولكنه انتقل إلى حيوان آخر وهو "البنغول (أو آكل النمل) (pangolin) ومنه إلى البشر... إذن الجديد في هذا الفيروس هو مروره من الانتقال بين البشر، إلى الانتقال من الحيوان إلى البشر. لهذا يجب أن ينتبه الناس أيضا إلى الحيوانات الأليفة التي تكون معهم في بيوتهم، ليسهروا على تنظيفها ويعرفوا من أين تأتي وإلى أين تذهب.. ولكن الحيوانات التي تحدثنا عنها بالنسبة لانتقال الفيروس لا توجدعموما بيننا، والمغاربة ليس عليهم أن يخشوا من هذا الجانب لأن الصينيين، الذي انتشر الفيروس بينهم، كانوا يتعايشون مع هذه الحيوانات وغيرها ويتناولونها، والناس هنا تخشاها ولا تقترب منها عموما...

لكن ألا تبقى خصوصية الفيروس الكبرى هي سرعة انتشاره؟

نعم، هو سريع الانتشار، وهو يسبب ثلاثة أنواع من الأمراض؛ هناك أولا أمراض الجهاز التنفسي، والذي يصيبه "كوفيد 19"، وهناك أصناف أخرى من فيروس "كورونا" تصيب الجهاز الهضمي، وهناك أصناف أخرى تصيب الجهاز العصبي. وهذه الأصناف الثلاثة كانت تصيب في البداية البشر فقط، وبعد 2002، صار الانتقال من الحيوانات إلى البشر، ولتصبح الخصوصية هي إصابة الجهاز التنفسي...

لكن ماذا عن استهداف كبار السن ومن يعانون من نقص المناعة؟

نعم، الفيروس يستهدف كل الأشخاص، من خلال الانتقال عبر الإفرازات، لأنه عندما يتحدث الإنسان المصاب تخرج من فمه إفرازات التي تتضمن الفيروس. والفيروس

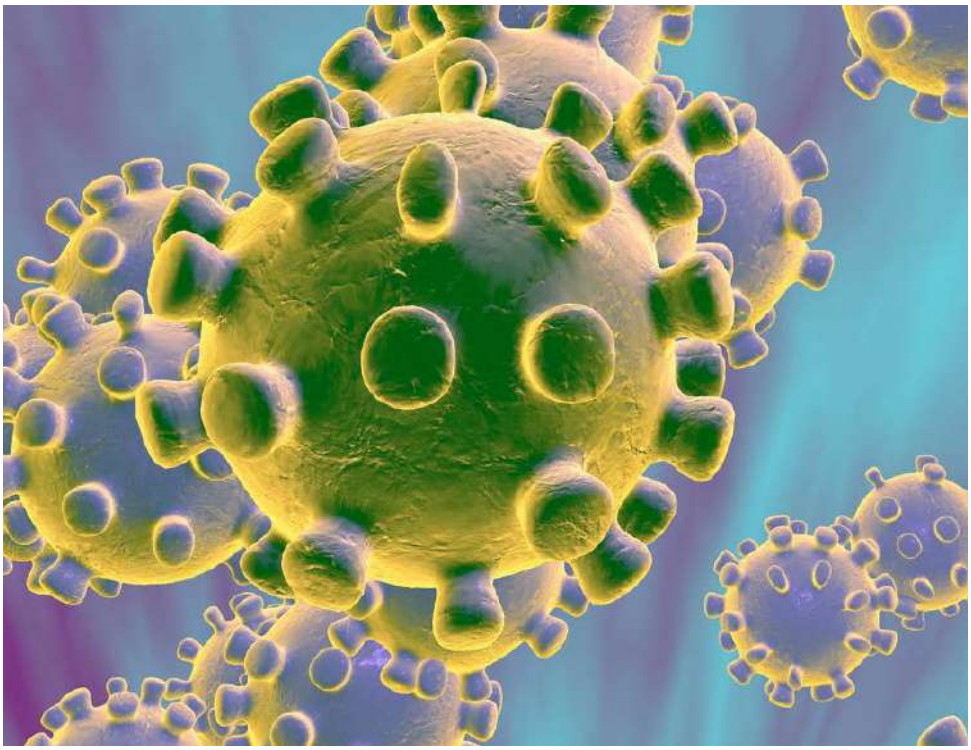

"كوفيد19" له خصوصية عن باقي فيروسات كورونا.

« لا يكون في الهواء، ولا يستطيع العيش خارج الجسد، لأنه يتوجب عليه أن يحدث أوتوماتيكيا "تعفنا" (Infection)، حيث يدخل خلية، ومن تم يبدأ في الانتشار.
هذا الفيروس لديه غشاء سطحي، فيه مكونات "غليكوبروتينية" (بروتينات سكرية)، وهذه البروتينات هي التي تجعله يلتصق ببعض مكونات خلايا الإنسان التي توصف بـ"المستقبلة". وعند لقاء تلك البروتينات مع المستقبل (le récepteur) يشرع الفيروس في التكاثر.
صحيح أن الفيروس سريع الانتشار من خلال الإفرازات، ولكن يمكن تجنب ذلك من خلال الوقاية؛ أي من خلال ترك مسافة مع متحدث، التي من الأحسن أن تكون ثلاثة أمتار، وبالنسبة إلى الذي تظهر عليه أعراض نبتعد عنه تماما.
كما يجب تجنب لمس الأشياء، لأن الفيروس قد يعيش على البلاستيك حتى لتسعة أيام، وعلى الحديد يمكن أن يعيش لثلاث ساعات، وفوق الأيدي، يمكن أن يعيش ما بين ساعتين حتى ثلاث ساعات، لذلك لابد من الإكثار من غسل الأيدي بالماء والصابون الذي يمكّن من تذويب المكونات الذهنية للفيروس، وهناك مجموعة من الاحتياطات التي يعرفها المواطنون وقد تعرفوا عليها الآن، والتي يمكن اختصارها بالنظافة والنظافة...

ولعل أحسن نصيحة يمكن تقديمها هي البقاء في البيوت...

هذا هو النداء، وأقول لكل شخص إن الحل بين يديه ولديه المسؤولية تجاه الوطن وتجاه المغاربة وعموم البشرية. انتشار الفيروس في بؤرة معينة هي مسألة وقت فقط. هذا "العدو" كان في مدينة واحدة، هي ووهان، وبدأ بحالة واحدة، وها هو قد انتشر في العالم، لأن الناس قالوا، في البداية، إن العدوى توجد في الصين فقط... نعم، انتشار العدوى مسألة وقت لا غير، والفيروس لا يميز بين أمريكي وصيني، ولا رجل وامرأة أو طفل أو كبير، لأنه ينتقل حيث تمكّن من ذلك، ويضرب الشخص. الناس يجب أن يلتزموا بالإجراءات التي اتخذتها السلطات التي كانت استباقية وفي وقتها، وساهمت في الحد من الانتشار... الحجر له فعالية ولكن لابد من مساهمة المواطنين فيه، بالتزامهم بالبقاء في بيوتهم، وحتى في بيوتهم عليهم أن يقوموا باحتياطات من قبيل أن يشرب كل شخص في كأس خاص به، ويؤدي الصلاة على سجادة خاصة به... وهذه في الواقع احترازات يجب أن يقوم بها الإنسان دائما لأنها تتعلق بحفظ الصحة والنظافة. وفي زمن هذا الفيروس، هناك أشخاص يحملونه ولا تظهر عليهم أعراض (porteurs asymptomatiques) لذلك يجب القيام بهذه الاحتياطات الاحترازية...

وبالنسبة للدواء، ماذا عن الجدل حول "الكلوروكين" (نيفاكين) الذي تبنته وزارة الصحة المغربية؟

"الكلوروكين" جزيء (Molécule) كان معروفا من قبل، وهو مكون نشط حيويا (principe actif)، له مشتقات، ويعالج به الملاريا، وتبناه المغرب كما الصين والولايات المتحدة، أما الجدل فهو سابق لأوانه، لأنه، بعد إعطاء الدواء يكون هناك تقييم، لنعرف إن كان ناجعا، أو كانت له أعراض جانبية. ولا يمكن الخوض في هذا الجدل الآن، لأن الناس معرضون للخطر والعدوى تهدد حياتهم، فهل نبقى مكتوفي الأيدي؟ هل هناك بديل؟ والولايات المتحدة المعروف قدرها في البحث العلمي، لو كان لديها بديل، أكانت ستستعمل هذا الدواء؟ لابد من دراسات أخرى ولكن ليس لدينا وقت وعدونا المشترك هو الوقت، لأن المرض فتاك وسريع الانتشار.

وماذا عن مختبركم كيف يساهم في الجهود الحالية للتعريف بالفيروس والحد من انتشاره؟

أول مساهمة للمختبر، هي في التربية، لأننا نكون جيل المستقبل. وسأعطي مثالا، فقط في هذا الميدان الخاص بـ"كورونا"، حصل أكثر من »

أربعة طلبة على شهادة الدكتوراه.
وعموما تم تقديم حوالي 35 رسالة للدكتوراه، حول الفيروسات من هذا المختبر، ويمكن أن نقول إن هناك خلفا، وهذا هو الأهم بالنسبة إلينا، وهو توفير الخلف لبلدنا، الغالي لدينا جميعا. وقد تخرج طلبة أكفاء من هذا المختبر، وفضلا عن ذلك يقوم طلبة الماستر بتداريب في المختبر، ونساهم في توعية المواطنين من خلال اللقاءات عبر وسائل الإعلام المختلفة والمقالات...

لكن ماذا عن جانب البحث العلمي؟
الجهود تكون متناسبة مع الإمكانيات الموجودة، وهناك مجموعة من الإكراهات وهي ليست خاصة بهذا الموضوع، لأنها مرتبطة بالبحث العلمي بصفة عامة، وهذا نقاش آخر، وهي معروفة. والباحث في المختبر ينشر أبحاثه في المنشورات العلمية الدولية، والمختبر معتمد، وهناك جزء من الموارد تساهم به الدولة، من خلال مجلس الجامعة، وكل مختبر تصله موارد حسب إنتاجه العلمي، وطلبته الذين يؤطرهم... ولكن المساهمة المالية تأتي فعلا من خلال بحث الطلبة عن مشاريع للتمويل، إما من الخارج أو من الداخل...

"في هذا الميدان الخاص بـ"كورونا"، حصل أكثر من أربعة طلبة من المختبر على شهادة الدكتوراه".

لا يمكن أن أقول إنه ليس هناك خصاص ولا يمكن أن أقول إنه لا نتوفر على شيء. يمكننا التطوير والدولة لديها إكراهات أخرى، ولكن الدول التي اعتمدت على البحث العلمي، مثل اليابان وكوريا، رأينا المستوى الذي وصلت إليه لأنها تستعمل 3 في المائة من ناتجا الداخلي الخام في البحث العلمي.
في الحقيقة، في اليوم الذي سنفهم فيه أن البحث العلمي يساهم في تنمية البلاد ويجب أن ندعمه ونشجع من يقومون به سيظهر ذلك على الواقع. من أين يأتي ذلك الدواء الذي يوصي مريضه بتناوله؟ لولا البحث العلمي والمختبرات لما وصل ذلك الدواء إلى المريض. البنية الأولى هي البحث العلمي، ولا يجب أن نبقى دولة تستورد من الخارج. يجب تطوير البنية التحتية للبحث العلمي...■

لا يمكن للبحث العلمي إلا أن يساهم في تنمية البلاد، حسب الناجي.

دليلك النفسي في "الحجر الصحي"

وجد المغاربة أنفسهم بين ليلة وضحاها قيد الحجر الصحي، ملزمين بالمكوث في المنازل، حالهم حال ثلث سكان الأرض، في سيناريو لم يسبق أن تنبأ به أكبر المتشائمين، حظر تجوال مدني، ضد فيروس خفي، قلب الموازين وفرمل نشاط البشر، واهتز روتين المعاش اليومي.

عبد الرحيم سموكني

الحرب على فيروس كورونا المستجد تضم معارك على جبهات كثيرة، من الوقاية والغسل والتقيد بالنظافة إلى تسابق المختبرات على إيجاد اللقاح، فإن معركة خفية تغلي في صدور الناس. هي معركة نفسية، بالدرجة الأولى، ضد الخوف والقلق، وتدبير الحجر الصحي، كيف يتعامل المغاربة مع هذا "الاستثناء"؟ كيف يتعاملون مع الأخبار والأطفال والمسنين. ما هو الدليل النفسي النافع في زمن الطوارئ الصحية والجائحة؟

يدعو طبيب الأمراض النفسية أيمن قشوشي إلى تجنب السقوط في فخ الخوف المرضي، خلال الجلوس في فترة الحجر الصحي، "خاصة أن هناك فرقا كبيرا بين الخوف المعقلن الذي يدفعنا إلى الحذر وتبني أساليب وقائية، والخوف المرضي".

أيمن قشوشي، طبيب نفساني.

الخوف المعقلن

وفق الطبيب النفساني، يتطلب تدبير فترة الحجر الصحي اعتماد مجموعة من الاحترازات، لتجنب السقوط في الخوف المرضي، ويقدم دليلا نفسيا للتعامل مع الوضع الاجتماعي والنفسي الذي تمر به البلاد. ويشرح قشوشي، لـ"تيلكيل عربي"، أن "الخوف إحساس طبيعي وعاد، مبني على أفكار ويظهر على شكل سلوك، والخوف المعقلن مطلوب، لأنه يدفعنا إلى حماية أنفسنا، وبالتالي، فالخوف طبيعي ومطلوب، غير أن الإشكال يتجلى في كون فيروس 'كوفيد19'، وهو سبب الهلع، ظهر بشكل مباغت وفي وضعية غير متوقعة وغير واضحة في تطورها ومعالمها. كل ما هو متأكد منه أنه يحمل خطرا مهددا للإنسان".

ويضيف قشوشي أن "الضغوط النفسية والقلق المفرط تتولد أيضا من الاطلاع المكثف على المعلومات الخاطئة، التي تزعزع الثبات النفسي وتجعل الشخص يقع في خوف مرضي، هو خوف استباقي مرتبط أساسا بتفكير سوداوي يقود إلى الكارثية ارتباطا بالمستقبل، وهذا ما يؤدي في النهاية إلى نوبات الهلع".

ويرى الطبيب النفساني أن "تنامي الخوف هو نتاج تطور متسلسل للأحداث التي »

تخص هذه الجائحة"، ويقول "في بدايات انتشار فيروس كورونا المستجد في الصين، استعمل بعض المغاربة ردود فعل دفاعية معنية، تحولت في ما بعد إلى حالات تنمر من العرق الآسيوي، وقد كانت السخرية كبيرة من كورونا، من قبيل أنها لن تنال من المغاربة، وهذا لديه ارتباط أساسا ببراديغم 'الاستثناء المغربي'، ليجد كثيرون أنفسهم تحت القيد الصحي وفي زمن حظر التجول، إنها صدمة نفسية بالفعل، لهذا يجب علينا استغلالها بشكل إيجابي".

المعلومة والكذبة

ينصح الطبيب النفسي قشوشي بـ"ضرورة أخذ المعلومة الصحيحة من المصدر الصحيح، وأن نتجنب السقوط في إدمان المعلومات حول الفيروس 24 ساعة على 24، والاكتفاء بالاطلاع على آخر الأخبار، مرتين في اليوم فقط"، ويقول "هذا ما نهجته وزارة الصحة مؤخرا، فبعد أن كانت تعمد إلى تحيين عدد المصابين ثلاث مرات في اليوم، لجأت إلى تواصل يومي واحد في المساء. كما يجب البحث عن معلومات في اتجاه آخر، بعيدة كل البعد عن الفيروس والجائحة، كما يُنصح بتجنب الإشعارات الخاصة بالأخبار عبر الهواتف الذكية". ويشدد قشوشي على أنه يجب الحفاظ على روتين يوم عاد، وأن تظل أوقات الاستيقاظ في موعدها المعتاد، مع احترام توقيت وعدد الوجبات، خاصة بالنسبة للأطفال، والحفاظ على نمط عيش طبيعي، داعيا إلى تواصل إيجابي مع العائلة بعيدا عن أخبار "كوفيد19".

عودة إلى الأسرة

يرى قشوشي أن ظرف الحجر الصحي "فرصة لاكتشاف أولويات جديدة، وإعادة النظر في مجموعة من المفاهيم القيمية، خاصة الاستهلاكية"، وأنه "فرصة لإعادة تقييم الأولويات، كعلاقتنا مع الأسرة وأولويات العمل"، ويقول "إنها مناسبة لإعادة اكتشاف ذواتنا، بعيدا عن قيم الاستهلاك، وهذه مناسبة لتكسير وهم أنه لا يمكننا العيش إلا بما تعودنا عليه. يجب أن ننظر إلى القيد الصحي على أنه فرصة إلى العودة إلى الجو المطلوب داخل الأسر". ويقر الطبيب النفساني بأن أصعب ما في القيد الصحي هو "التزامنا بحدود ضيقة، اعتدنا تجاوزها بسهولة وبديهية، لكنه، في الوقت ذاته، يمكن أن يكون وسيلة لإعادة النظر في مفهوم الأسرة كقيمة"، ويوضح "في اعتقادي، فإن أبرز مشكل في المغرب ليس هو التعليم أو الصحة، بل التربية، لقد اختل مفهوم الأسرة في المغرب، واختل معه دورها في التربية".

"الضغوط النفسية والقلق المفرط تتولد أيضا من الاطلاع المكثف على المعلومات الخاطئة".

تعامل خاص للأطفال والمسنين

يلفت الطبيب النفساني إلى مسألة مهمة تتعلق بكيفية التعامل مع الأطفال خلال فترة الحجر الصحي، خاصة أنهم شريحة عمرية كثيرة الحركة وصعبة الضبط، وينبه إلى التعامل بعناية مع أخبار الفيروس والجائحة أمام الأطفال، وتجنب بث الرعب في نفوسهم، مع ضرورة شرح الوضع لهم ببساطة.

ويقول قشوشي "علينا أن نشرح لهم الوضع بطمأنينة، وألا نهول الأمر، بشرح بمعلومات بسيطة وصحيحة ومطمئنة، وأن نحذر من نقل قلقنا إليهم. يجب أيضا أن نفهمهم أن عليهم مواصلة التعليم، وأن نرسم لهم مستقبلا مطمئنا". وحسب الطبيب، فإنه يجب سن برنامج يومي خاص بالأطفال، يبدأ بالاستيقاظ المبكر، مع ضرورة الحفاظ على مساحات لعب لهم لأنهم يملون بسرعة.

أما عن المسنين، فيحذر قشوشي من تكرار "أسطوانة" أن "الفيروس يستهدفهم بالدرجة

تنامي الخوف هو نتاج تطور متسلسل للأحداث التي تخص الجائحة، حسب قشوشي.

الأطباء يحتاجون أيضا إلى الدعم النفسي في زمن "كورونا".

« الأولى، وأنه يجب تفادي تحويلهم إلى أرقام، كما لا يجب إسقاط تمثلات مجتمعية غربية على الوضع المغربي. فلكل مجتمع نظرته الخاصة بالمسنين"، ويقول "لحسن الحظ، تعافت مريضة مغربية تبلغ من العمر 80 عاما. إنه إنصاف نفسي لهذه الفئة، وبارقة أمل. لا أتصور كيف ستكون الوضعية النفسية لمسن مغربي، يسمع طوال اليوم خطابا بأن الفيروس يقتل كبار السن بسهولة".

ماذا عن الطبيب والمريض؟

يكشف قشوشي أنه إذا كانت الاضطرابات النفسية متربصة بالجميع في زمن الجائحة والقيد الصحي، فإنها أشد فتكا بالمرضى النفسانيين، خاصة الذين يعانون من أمراض كـ"قلق عام" و"الخوف من المرض" و"الوسواس القهري"، لأن أوضاعهم النفسية تتدهور في مثل هذه الظروف.

فئة أخرى تعتبر الشريحة التي تقف في وجه المدفع، وتقاتل بشراسة ضد انتشار فيروس كورونا المستجد، وهم الأطر الطبية والممرضون والتقنيون وعمال النظافة والحراس، ويقول قشوشي إن الدراسات النفسية المنجزة مؤخرا في الصين على مستخدمي القطاع الصحي، أظهرت أنهم أصيبوا بأمراض نفسية، أبرزها الاكتئاب، بغض النظر عن تعرض البعض منهم للعدوى بـ"كورونا".

ويوضح "هذه الفئة التي تواجه الوباء في الصفوف الأمامية، معرضة لمرض الاكتئاب، وليس لأعراضه فقط، خاصة وبدرجة كبيرة العنصر النسوي، الذي يشتغل بكثرة في القطاع الصحي، وبالتالي، فهم أكثر عرضة من غيرهم للاضطرابات النفسية والقلق والشك ولاضطرابات النوم، وبالتالي يجب الاهتمام بهم وتوفير خلايا استماع لهم، ويجب الاعتراف بجهودهم والتعبير عن الامتنان لهم. فعندما يقدر المجتمع عمل فئة منه يشكل ذلك دعما نفسيا كبيرا لها، لذلك علينا أن ندعهم نفسيا وماديا".

"كيف ستكون الوضعية النفسية لمسن مغربي، يسمع طوال اليوم أن الفيروس يقتل كبار السن بسهولة؟".

ويفيد الطبيب قشوشي أن مجموعة من التدابير جرى اتخاذها من قبل مختصين وأطباء نفسانيين مغاربة، سيما في ظرفية تتسم بوعي جماعي من طرف أفراد المنظومة الصحية، سواء صيادلة أو أطباء في القطاعين العام والخاص أو ممرضين، ويضيف "لذا فقد رأت مجموعة من المبادرات النور وتتجه في إطار الدعم النفسين؛ إذ بادر مجموعة من طلبة كليات علوم التربية إلى تخصيص أرقام هاتفية لتقديم الدعم لنفسي للأطر الطبية، كما قررت الهيئة الوطنية للأطباء مع أطباء نفسانيين تابعين للجمعية المغربية للأطباء لنفسيين، مواكبة المرضى النفسيين في هذه المرحلة...■

فنانون يحكون معيشهم اليومي قيد بيوتهم

في زمن المكوث الإجباري بالبيوت، يحكي فنانون مغاربة لـ"تيلكيل عربي" عن التحولات الفجائية التي مست حياتهم. كيف يقضون قيدهم الصحي في المنزل؟ وكيف يمضون الوقت وكيف يستغلونه؟ والأهم، ما الدروس التي استشفوها بعد قرابة أسبوع من حظر التجوال والخروج؟

عبد الرحيم سموكني

أحرار.. غرس وكتب

تقول الممثلة المغربية لطيفة أحرار إنها كانت متتبعة جيدة للأنباء القادمة من الصين ثم انتقال عدوى الفيروس إلى أوروبا، وتكشف أنها استبقت قرار السلطات المغربية، واختارت طوعا المكوث في منزلها.

وتضيف الممثلة والمخرجة المسرحية أنها قررت، قبل تطبيق حظر التجوال، الدخول في عزلة، وأنها بادرت إلى شراء نباتات زينة وغرس للاعتناء بها خلال هذه الفترة. وتقول "بحكم مهنتي وتنقلي الدائم، لم يكن لدي وقت للاعتناء بنباتات منزلية، وغالبا ما كانت تذبل لغياب من

لطيفة أحرار.

يهتم بها، وكم كان هذا الأمر يحزنني بقوة، لذا عندما قررت الالتزام بالحجر الصحي، أول ما فكرت فيه هو الاعتناء بالنبات".

ليس النبات وحده الأولوية بالنسبة لأحرار، بل القراءة والكتب هما وسيلة فعالة في زمن "كورونا"، إضافة إلى مشاهدة الأفلام الوثائقية، وتوضح "أعكف حاليا على قراءة مسرحية للكاتب الفرنسي جون بيير سيميون، وهي بعنوان "ماتر فيريوزا"، تدور حول قصة امرأة تعيش عزلة في زمن الحرب". بالنسبة إلى أحرار، فإن المستفيد الأكبر من جائحة كورونا المستجد هو كوكب الأرض، وترى أنها فرصة ليتنفس من ضغط النشاط الإنساني.

تعتبر لطيفة أحرار أن النقاط الإيجابية من هذه التجربة كثيرة، أبرزها درجة الوعي الكبير التي أبانت عنها شرائح واسعة من المجتمع المغربي، وعي بوجود خطر حقيقي محدق بالجميع، ما أفرز تضامنا غير مسبوق.

الإيجابيات في نظر أحرار تتعلق أيضا بإعادة النظر في سلوكاتنا، وتقول "شخصيا كنت أعاني مع الكثيرين بسبب إفراطي في شروط النظافة، وكانوا ينعتونني بـ'المهووسة' أو 'المانياك'. اليوم صار الجميع يتصرف مثلي، وهو أمر مفرح. لم أكن أبدا أتوقع هذا، والأمر نفسه بالنسبة لنظرة المجتمع للبذلة الرسمية. أعتقد أن الصورة تغيرت، صرنا نرى فيهم منقذين وحراس أمن وصحة، فالمدرعات التي دخلت المدن، حضرت لتأمين الحماية وضبط التزام الناس بالحظر، ولم تأت إلى المدن من أجل قمع السكان أو خوض حرب، وهذا في حد ذاته تحول كبير".

بالنسبة لفنان أو مبدع يعيش حجرا صحيا، فإن أحرار ترى أنها فرصة لإنعاش المخيلة، عبر تخصيص وقت أكبر للتأمل.

وتختم أحرار كلامها قائلة "يجب أن نستخلص دروسا كثيرة من هذه التجربة، أبرزها أن نولي اهتماما بقطاعي الصحة والتعليم والبحث العلمي، هذا هو الاستثمار الحقيقي للمستقبل".

ماجدولين الإدريسي.

الإدريسي.. فهم "كورونا"

لم تخرج الممثلة المغربية ماجدولين الإدريسي عن الإطار ذاته، إذ تعتبر نفسها كائنا قليل الخروج من البيت، وأنها تقضي حجرها الصحي في القراءة ومشاهدة الأفلام السينمائية، وتقول "لأكون صريحة، أقضي معظم وقتي في البحث عن المقالات التحليلية التي ترصد أو تشرح ظاهرة كورونا. أريد أن أفهم كيف وصلنا إلى هذه الحال، وكيف توقف كل شيء".

تشدد الإدريسي على أنها أوقفت مشاريع كثيرة، لكنها تحرص على الاتصال بالأصدقاء والزملاء عبر تقنية الفيديو، من أجل الرفع من معنوياتها ومعنويات محيطها.

براوي.. رد دين القراءة

أما بالنسبة للمخرج المغربي نوفل براوي، فيقول إنه لم يغادر منزله منذ أسبوع تقريبا، وأنه يكرس كل وقته للقراءة، خاصة وأن يتوفر على لائحة كتب كانت تنتظره حتى يفرغ، وهو ما وجده ظرفا مناسبا لسداد دين كتب تأخر في قراءتها.

يقول براوي إنه يقرأ حاليا رواية للكاتب الأمريكي جيدي سالنجر وهي بعنوان "ممسك القلوب"، كما ينوي قراءة الجزء الثاني من رواية "أولاد الغيتو" لإلياس الخوري. يصف براوي نفسه بـ"الكائن البيتوتي"، الذي لا يخرج إلى الشارع إلا لماما، وحتى في الأوقات الطبيعية قبل الحجر الصحي، ما يكسبه مناعة قوية ضد الملل.

يفضل براوي متابعة الأخبار، سواء العربية أو القنوات الفرنسية، ومشاهدة الأفلام التي كان يضعها في لائحة الانتظار بدورها، ويقول "أحاول أن أطبق الحجر الحقيقي، منذ يوم الجمعة الماضي لم أتعد عتبة الدار، اشتريت المؤونة لأسبوع كامل، وأحرص على التواصل

براوي: من بين إيجابيات المرحلة الحالية، نقص التلوث بشكل كبير، وتنفس كوكب الأرض، وإعادة تقييم الأولويات...

نوفل براوي.

مع العائلة والأصدقاء بشكل يومي".

يعتقد براوي أن "من بين إيجابيات المرحلة الحالية، نقص التلوث بشكل كبير، وتنفس كوكب الأرض، وإعادة تقييم الأولويات بعد أن تخلصنا من عادات استهلاكية كثيرة دون أن نموت". ويضيف "ثانيا، أظهرت محنة كورونا زيف مجموعة من الشعارات، خاصة في دول العالم الغربي. اليوم صرنا نرى أن الغرب المتحضر لا يتوانى في سرقة الطائرات المحملة بالمساعدات الطبية، هذا نموذج بسيط من الأقنعة التي أسقطها فيروس كورونا".

أما على الصعيد الشخصي، فيرى المخرج المغربي أن الحجر الصحي دفع كثيرين إلى التأمل في مفاهيم وقيم كثيرة، ويقول إن "ما يحز في النفس هو الخوف من الموت بطريقة غبية؛ أي أن يكون سبب التقاط الفيروس لمس مقبض باب أو عطسة مار بالقرب منا، وبالتالي فالحجر يخلق أوليات جديدة في حياتنا، نكتشف حاجيات أخرى، سواء بعلاقتنا بمحيطنا أو بأنفسنا، لذا فلو استفدنا من هذه التجربة، فأكيد أن العالم سيكون أحسن".

أهريش.. ثورة في البيت

تعيش الممثلة بشرى أهريش وضعا مختلفا، بعد أن ألزمها الحجر الصحي بتحمل مسؤوليات جديدة، تتجلى أساسا في الاهتمام

بشرى أهريش

أكثر بأسرتها، تقول "أنا من النوع الذي لا يمكث كثيرا في المنزل، سواء بسبب التزاماتي أو بسبب حبي للتجوال والسفر، لكن الوضع تغير بشكل جذري".

وتضيف "في بداية الأمر، لم نستطع تقبل الوضع. كان أقرب إلى الصدمة، خاصة أنه لم يسبق لنا أن عشنا تجربة كهذه، لدرجة أنني لا أتذكر آخر مرة مكثت فيها بالبيت. اليوم، تغيرت الأمور رأسا على عقب، فالمشاريع الفنية توقفت، وقررت أن أتجاوز وضع الصدمة، وأتكيف مع الحجر الصحي".

تتخذ أهريش برنامج يوميا محددا، خاصة وأنها تعيش في كنف أسرة كبيرة، ما يستلزم خلق أجواء خاصة، وترى أن الهلع أخطر من المرض بحد ذاته.

وتوضح "أحاول الحفاظ على التوازن داخل الأسرة. فقد جهزت قسما خاصا بأطفال الأسرة، به جهاز حاسوب وإنترنت، كما وضعت توقيتا للالتحاق به. يبدأ الصغار الدروس على الساعة التاسعة والنصف، كما جهزت قاعة للتدريب الرياضي لمحاربة الملل، ولا أخرج إلا مرة واحدة في الأسبوع لتبضع الحاجيات الضرورية".

ترى بشرى أهريش أن الجانب المضيء في هذه التجربة يكمن في الاتصال بالعائلة والتقرب منها ورد الاعتبار للعلاقات الإنسانية، كما أن قيمة التلاحم تبرز بشكل أقوى في مثل هذه الحالات، وتقول "في الحي الذي أقطن فيه، أفكر يوميا في النادلين الذين كانوا يخدمونني في المطاعم والمقاهي، أحاول الاتصال بمن أعرف فيهم، كما أن الجميل في هذه المحنة أنها ساوت بين الفقير والغني، فالفيروس لا يؤمن بالفوارق الطبقية ولا بالجاه وقوة المال، الجميع سواسية".

داداس.. قرب الوالدة

الممثل الكوميدي عزيز داداس فضل العودة إلى بيت الوالدين في حي سباتة ليقضي فترة الحجر الصحي، يقول "إنها فرصة للراحة أو الاستراحة، هكذا أفضل أن أرى الأمور، كما أنها مناسبة أيضا للمكوث أطول مدة قرب الوالدة". انتهى داداس من كل التزاماته الفنية قبل شهر شهرين تقريبا، ما جعله يلتقط أنفاسه مبكرا، رغم أن كورونا أوقف عملا دراميا ضخما كان مخططا له مع قناة "mbc5"، التي ارتأت توقيف التصوير مخافة السقوط في نتائج وخيمة، يقول "الحجر الصحي الذي نعيشه أظهر المعادن الأصلية للناس وللمؤسسات على حد سواء، ففي المجال الفني ظهر من يفكر في مصلحته ومحفظته قبل التفكير في الأرواح البشرية، ويؤسفني أن أسمع زملاء يتذمرون من إجبارهم على العمل في هذه الظروف، إن اللاهثين وراء الربح لا يقبلون تكبد خسارة في الإنتاج، لذا فهم يستهترون بأرواح البشر".

يجزم داداس أن أحسن ما جلبه الحجر الصحي هو "وقف هذه السرعة الجنونية في كل شيء، وصار الوقت ملكا للجميع، بعدما كان عملة نادرة يتسابق الجميع لكسبها".

يضيف داداس "في مدينة كبيرة كالدارالبيضاء، لم يتوقع أحد أن تجمد الحركة والهرولة. إنها فرصة للمدينة لكي تتنفس، وفرصة للناس ليعيدوا النظر في سلوكهم وفي نمط عيشهم. أعتقد أنها مناسبة جيدة لنستشف الدروس والعبر، وأكثر ما يحز في نفسي أن أرى جيرانا لي في حيي يعانون في كسب قوتهم اليومي وهم ممنوعون من الخروج، لذا فالامتحان الحقيقي لنا، كمجتمع ودولة، هو مساندة هذه الفئات، فكورونا قدم هدية ثمينة، تتجلى في عودة الثقة والاحترام بين الدولة أو السلطة والمواطن، ثقة اعتقدنا أنها زالت إلى الأبد". ■

عزيز داداس

ملين:
هكذا تعامل المغاربة وسلاطينهم وفقهاؤهم ومتصوفتهم مع الأوبئة

في زمن "كورونا"، يتساءل الكثيرون إن كانت إجراءات الحجر الصحي "غير مسبوقة" في تاريخ المغرب، وعن تعامل السلطة والمجتمع في المغرب مع الجوائح التي اجتاحت البلاد في الماضي.

حاوره موسى متروف

في هذا الحوار ، يقدم محمد نبيل مُلين، الأستاذ الباحث في المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي والحاصل على دكتوراه في التاريخ من جامعة السـربون وعلى دكتوراه في العلوم السياسية من معهد الدراسات السياسية في باريس، لقراء "تيلكيل عربي"، إضاءات على هذا التاريخ غير المعروف عن تاريخ الأوبئة والجوائح في المغرب وتعامل السلاطين والمخزن والفقهاء والمتصوفة والعامة معها.

ولملين العديد من المؤلفات، من بينها "علماء الإسلام: تاريخ وبنية المؤسسة الدينية في السعودية بين القرنين الثامن عشر والحادي والعشرين" (بيروت، 2011) و"السلطان الشريف: الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب" (الرباط، 2013) و"الخلافة: التاريخ السياسي للإسلام" (بيروت، 2017) و"فكرة الدستور في المغرب: وثائق ونصوص" (1901-2011) (الدار البيضاء، 2017) و"أطياف الإسلام السياسي: التيارات والعقائد والإيديولوجيات"، (بيروت، 2020)...

محمد نبيل ملين، أستاذ باحث في التاريخ والعلوم السياسية.

هل صحيح أن للمغرب تاريخ طويل مع انتشار الأوبئة والجوائح؟

على غرار معظم بلدان العالم، كانت العديد من الكوارث الطبيعية تعصف بالمغرب بشكل منتظم منذ أقدم العصور. فبين القرن التاسع والقرن العشرين مثلا تمّ تسجيل حوالي 45 جائحة كبرى كان أهمها الطاعون بمختلف أنواعه والجذام والجدري والزهري والكوليرا والحمى الصفراء والتفوئيد والحصبة. زد على ذلك، المجاعات المتكررة التي كانت تترتب في أغلب الأوقات عن عدم انتظام تهاطل الأمطار وهجوم الجراد على المحاصيل. وهو ما كانت له نتائج وخيمة على كافة المستويات لاسيما الديمغرافي حيث كان المغرب يخسر كلّ مرة جزءً مهما من سكانه قد يصل، في بعض الأحيان، إلى 50 في المائة منهم.

كيف كانت السلطات تتعامل مع تلك الأوبئة؟

رغم قلة الموارد وانعدام الآليات الفعالة، كان المخزن بين الفينة والأخرى يتخذ بعض التدابيرالاحترازية لحماية الرعية ويجند الموارد المتوفرة لتخفيف وطأة الجائحات عليها. فإلى جانب إغلاق الحدود في القليل من الأحيان، كان بعض السلاطين كإسماعيل بن الشريف ومحمد بن عبد الله ومحمد بن عبد الرحمان والحسن الأول يوزعون المؤن والمال على الناس ويوزعون البذور على الفلاحين ويستوردون السلع ويحددون الأسعار ويحاربون الاحتكار. لكن هذه التدابير لم تكن منظمة ومستمرة. فالمخزن كمنظومة تقليدانية هشة لم يكن يحتكم على الوسائل والإرادة الضروريتين لوضع سياسات عمومية في هذا المجال الحساس... لذلك، فقد كان

«

المغاربة في أغلب الأحوال يواجهون الكوارث دون أدنى مساعدة. ففي زمن الأوبئة والمجاعات، كان الناس يلتجئون، مثلا، لأكل الأعشاب البرية والجيفة وبعض الحيوانات المحرمة كالقطط والكلاب والخنازير بل إنهم في بعض الشدائد كانوا يلتهمون اللحوم البشرية كما وقع مثلا في سنوات 1779 و1847 و 1879.

هل سبق أن أغلقت الحدود المغربية بسبب انتشار الأوبئة؟

كانت معظم الأوبئة التي تضرب المغرب تأتي من الخارج إما عن طريق البحر عبر موانئ الشمال لاسيما طنجة وتطوان أو عن طريق البر عبر المسالك الآتية من الجزائر. وقد فطن بعض السلاطين إلى ذلك. ففي سنة 1582، أمر السلطان أحمد المنصور بإغلاق حدود الإيالة الشريفة، رغم أن هذا المفهوم كان مختلفا عن المعنى المتداول اليوم، وحظر أيضا أي اتصال بالأجانب، عندما علم أن الطاعون تفشى في كل من الجزائر واسبانيا. بفضل هذا الإجراء الاحترازي غير المسبوق، تفادى المغرب كارثة محققة. فعل السلطان سليمان الشيء نفسه في سنوات 1804 و1810 و1817، عملا بنصيحة القناصلة الأوروبيين. ولئن كانت هذه التدابير أبدت نوعا من الفعالية، فلم ير القائمون على المخزن مأسستها واستدامتها حتى يتسنى للمغرب حماية نفسه كما كان يجري في العديد من البلدان.

هل سبق أن فُرض "حجر صحي" على المغاربة؟

بدأ العمل بالحجر الصحي أو "الكرنتينة"؛ أي عزل أيّ شخص قادم من خارج البلد لمدة قد تطول أو تقصر لتفادي انتشار الوباء، في أوروبا في القرن الرابع عشر لاجتناب الفظائع التي تسبب بها الطاعون الأسود. لكن أقدم المحاولات لإدخال هذا التدبير إلى المغرب تعود فقط إلى نهاية القرن الثامن عشر. فقد

المغاربة قاوموا كثيرا من الجوائح عبر التاريخ.

أنشأ القناصلة الأوروبيون سنة 1792 مجلسا صحيا حاول فرض عدة تدابير صحية على المخزن لاسيما الحجر. لئن كان هذا الإجراء قد طُبّق بنجاح في بعض الأوقات إلا أنه كان يلقى معارضة شديدة من قبل السلطان والتّجار ومعظم الفقهاء لأسباب دينية وسياسية واقتصادية. فعلى سبيل المثال، حاول بعض المتنورين وعلى رأسهم وزير الخارجية محمد بركاش فرض نطاق صحي حول طنجة سنة 1878 لحمايتها من الكوليرا فعنفهم السلطان الحسن الأول وأمرهم بالعدول عن هذه "البدعة". وقد كان لهذا

"كانت معظم الأوبئة تأتي من الخارج، عن طريق البحر عبر موانئ الشمال أو عن طريق البر عبر الجزائر".

التعنت غير المبرر نتائج وخيمة على كافة المستويات لاسيما تمزق النسيج الاجتماعي وانهيار القدرة المالية للمخزن بسبب تراجع عدد السكان.

وهل سبق أن أغلقت المساجد ومنعت المواسم بسبب الأوبئة؟

من المرجح أنّ الكثير من دور العبادة كانت تُغلق وبعض المواسم تُلغى إبّان الجائحات التي كانت تضرب المغرب بشكل دوري منذ العصر الوسيط. لكن الوثائق التي بين أيدينا لا تتحدث عن ذلك كثيرا لأسباب دينية على ما يبدو. ففي سنة 1056 مثلا عُلقت الصلوات الجماعية وصُفّدت أبواب المساجد بسبب الطاعون. لكن في غالب الأوقات كانت هذه المؤسسات تظلّ مفتوحة، حيث تحج إليها أعداد هائلة من الناس طلبا للغوث الإلهي وهو ما كانت تتمخض عنه نتائج عكسية في معظم الأوقات. فقد كانت دور العبادة والزوايا والمواسم من أهم بؤر العدوى وأهم

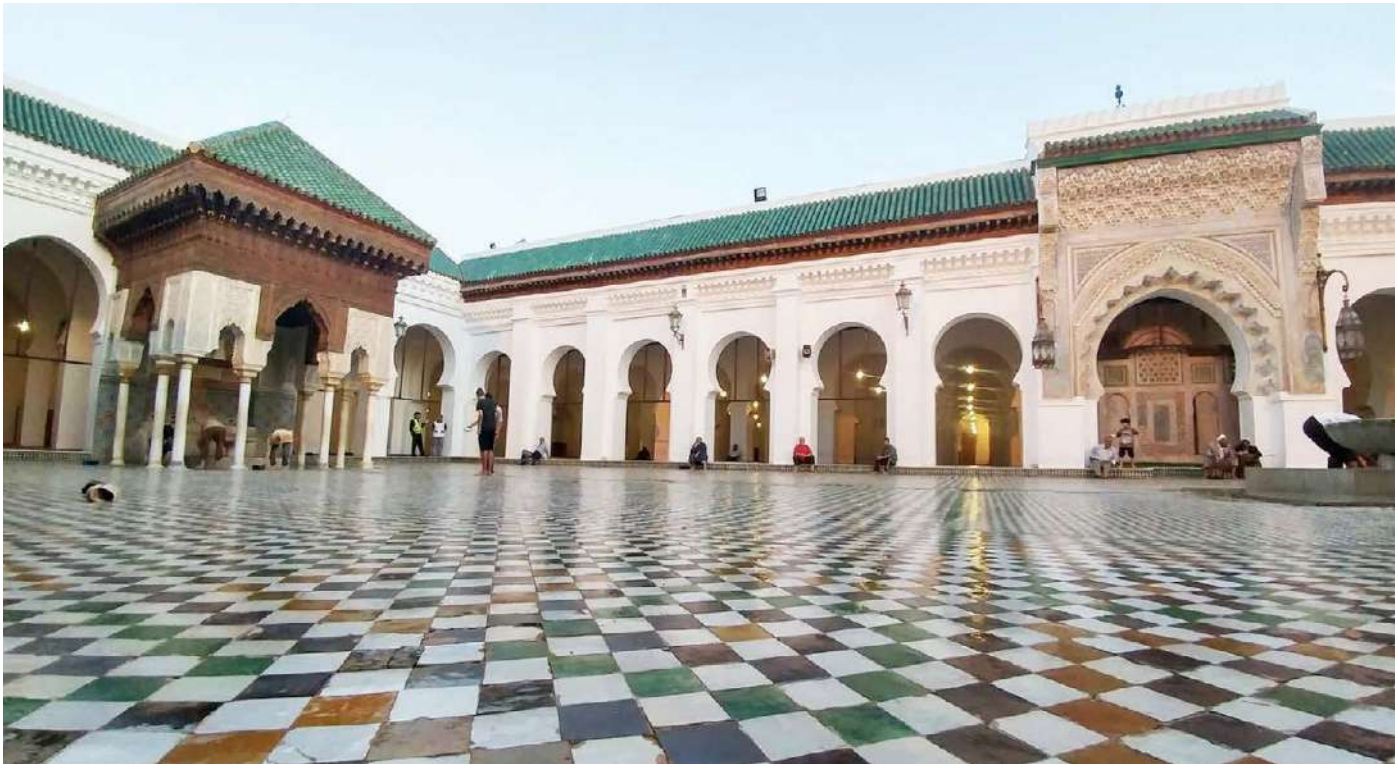

جامع القرويين بفاس.

« نقاط انتشار الأمراض الفتاكة. زد على ذلك أن الكثير من الأوبئة دخلت إلى المغرب بسبب الحجاج العائدين من المشرق، سواء عن طريق البر أو البحر وهو ما حدث مثلا سنة 1818 حيث هلك حوالي 10% من سكان المغرب.

كيف تفاعل الفقهاء والصوفية مع تلك الجوائح؟

من الناحية الفكرية، كان رجال الدين من الفقهاء والمتصوفة ينقسمون إلى فريقين منذ العصر الوسيط. كانت نزعة أولهما عقلانية إلى حدّ ما، حيث حاولوا تفسير هذه الظواهر بطريقة توفق بين النصوص المقدسةوالعلم التجريبي حسب مقاييس العصر.

فقد كانوا يرون أن المسلم يجب أن يتصدى إلى الأوبئة كباقي الأمراض عبر اتخاذ مجموعة من التدابير كالعزل الصحي بكافة أنواعه والنظافة وتناول الأدوية الخ. وكان من أهم ممثلي هذا التيار ابن الخطيب وابن خلدون ومحمد بن القاسم الفيلالي ومحمد بن يحيى السوسي. أما الفريق الثاني، وقد كان الغالب في معظم الفترات إن لم تكن كلها، فقد تبنى نزعة جبرية غيبية. إذ كان يعتبر الوباء مهما كانت أسبابه قضاء وقدرا.

لذلك، حرّم اتخاذ أية تدابير وقائية أو علاجية كالحجر الصحي والعزل والفرار والتداوي.

وكان من أهم وجوه هذا التيار محمد بناني ومحمد الحضيكي وأحمد اللمطي وأحمد بن عجيبة والعربي المشرفي وأحمد الناصري وعبد الله بن خضراء. والجدير بالذكر أن كلا الفريقين كان يستعمل آيات من القرآن وأحاديث منسوبة إلى النبي لتعزيز رأيه.

"في سنة 1056، وعلى خلاف سنوات أخرى، علقت الصلوات الجماعية وصفدت أبواب المساجد بسبب الطاعون".

من الناحية الاجتماعية، كان رجال الدين، لاسيما المتصوفة، في الكثير من الأوقات يقومون بما يقوم به المخزن على صعيد الإيالة، لكن، على المستوى المحلي، كانوا يطعمون الطعام ويأوون المتشردين ويفرقون الصدقات ويقرضون المعوزين ويوزعون البذور على المزارعين ويقيمون المجالس الدينية...

وقد ذاع صيت العديد من الطّرق بفضل ذلك، كالدلائية والدرقاوية والوزانية. لكن في بعض الأوقات، كان هؤلاء وغيرهم، من التجار ورجال المخزن والأمراء، يستغلون هذه الظروف الصعبة للاستيلاء على أراضي ومواشي وأثاث الناس باستعمال طرق ملتوية لتكوين ثروات هائلة... ■

TELQUEL
عربي

مهنية ومصداقية

http://ar.telquel.ma/